المكتبة الخضراء للأطفال

٦٣

الماسة الزرقاء

تأليف

لينا كيلاني

رسوم

ماهر عبد القادر

دار المعارف

obeikandl.com

obeikandl.com

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

كيلاني، لينا.

الماسة الزرقاء.

تأليف: لينا كيلاني؛ رسوم: ماهر عبد القادر.

٤٠ص؛ ٢٤سم – (المكتبة الخضراء؛ ٦٣).

تدمك ٣- ٧١٥٦- ٠٢- ٩٧٧- ٩٧٧

١- قصص الأطفال. ٢- القصص العربية.

أ- عبد القادر، ماهر (رسام). ب- العنوان.

ديوي٠٢، ٨١٣

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٢٤٤٩٥ ٧/٢٠٠٧/٣١

تنفيذ المتن والغلاف

بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات

دار المعارف

الناشر: دار المعارف- ١١١٩ كورنيش النيل- القاهرة- ج. م. ع

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧- فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩ E-mil: maaref@idsc.net.eg

obeikandi.com

((بيت الماضي))

بيت عريق قديم.. في مدينة عريقة قديمة.. لعلها من أقدم المدن المعمورة على الأرض.. المهم أن الأحداث وقت. وهي حقيقية إلى حد الخيال.. من بني هذا البيت؟.. لا أحد يعرف على وجه التحديد.. فالأب كان يقول إنه جده.. والجد يقول إنه جده.. وهكذا.. وتصل الحكاية إلى أن أصل البيت قصر قديم لم يبق منه سوى هذا الدور الأرضي الذي يجدده سكانه بين حين وآخر كلما تعاقبت الأجيال...

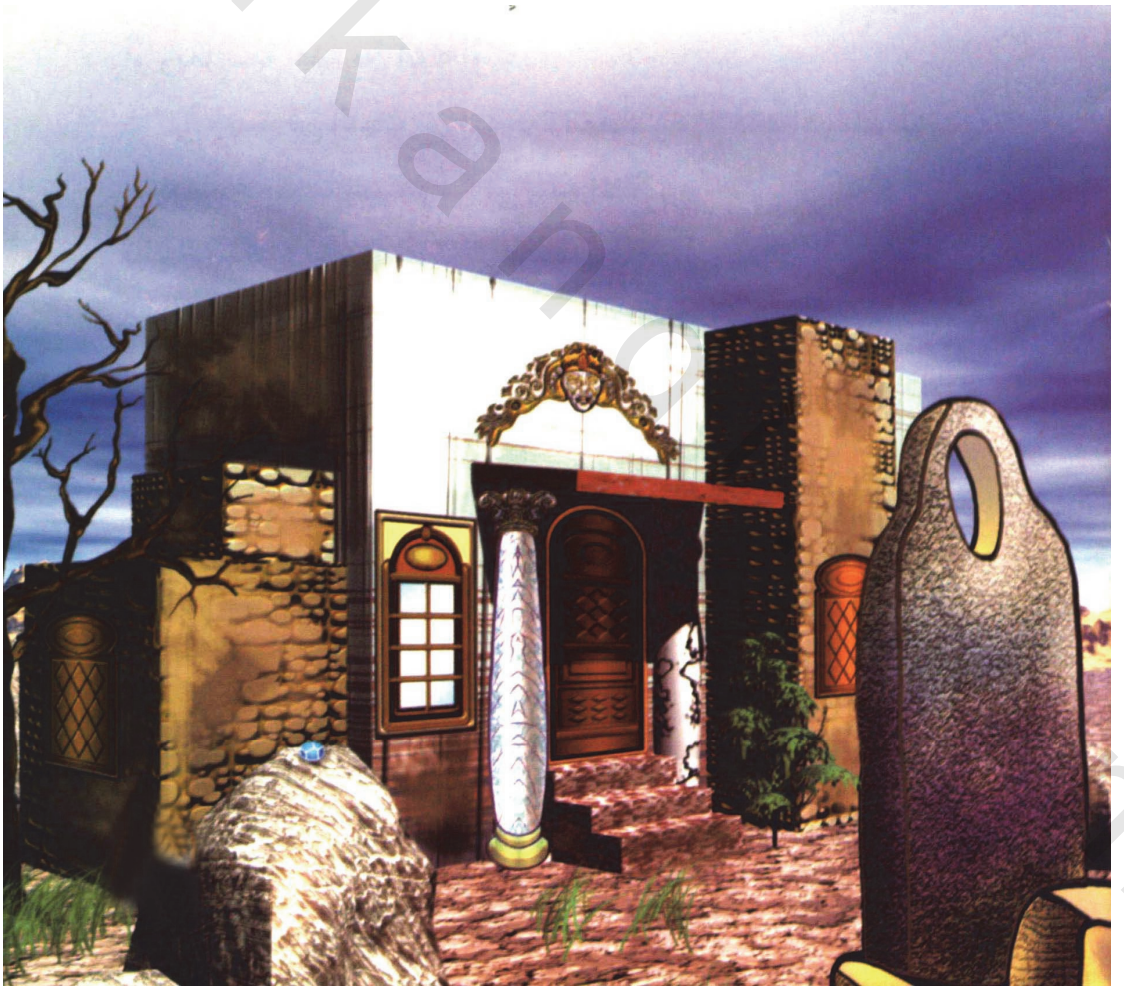

obeikandl.com

وكذلك الحديقة التي أصابها الإهمال على مدى السنين، فأصبحت خاوية على عروشها إلا من بعض الأشجار التي يقال إن عمر إحداها مئات السنين.. وفي الحديقة صخرة محفورة كأنها نصب تذكاري، يدخلها النور من أعلى عن طريق فتحة فيها، فتبدو أحجارها العتيقة بألوان شتى من الأسود والبنفسجي حتى الأزرق والأبيض الفضي.

البيت هجرة ساكنوه.. بعضهم مات ودفن في المقبرة القريبة من البيت.. والبعض الآخر سافر أو هاجر إلى بلاد شتى، وهو يحمل معه صورة البيت الذي ولد فيه، أو عاش فترة من حياته في كنفه.. أو ربما سمع عنه من أبيه أو جده.

لم يبق في البيت من شجرة العائلة، إلا تلك الأرملة الشابة ((بهية))، وابنتها نور، وهي في شبه انقطاع عن العائلة، إذا لم يبق منه تلك الشجرة سوى أشخاص معدودين، متناثرين في أنحاء البلاد لا يزور بعضهم بعضًا إلا نادرًا.. لكنهم إذ يجتمع بالآخر، إنما يكون الاجتماع في البيت الكبير العتيق.. وهنا تكون الذكريات أكثر ما تكون حيوية.. وكل واحد منهم يروى ما سمعه أو ما اختزنه في ذاكرته.. ثم يفترقون وقد شحنوا بعواطف جديدة ومشاعر لم يكونوا يعرفونها.. حتى قال أحد أعمام ((بهية)) مرة:

كأن في هذا البيت سحرًا ما.. ما إن نخرج منه حتى نشعر وكأننا عدنا شبابًا أو أطفالاً.. ونحس أننا سنراه بطريقة ما.. أو أننا نريد أن نعود إليه ولو بقي منه حجر واحد.

قال هذا وهو قد تجاوز الستين من عمره في آخر مرة زار فيها البيت، وردت عليه ((بهية)): لماذا لا تأتي وتسكن معنا؟.. نحن وحدنا.. أنا ونور.. وأنت أيضًا وحدك بعد أن تزوج أولادك وتركوك.

فأطرق قليلاً، ثم قال:

سأفكر في الأمر.. ولكن ما أظنني سأفعل.. فأنا حيث أعيش في تلك المدينة الساحلية مرتبط بعملي ولو أنه بسيط.. وبمعاشي التقاعدي.. وبأصدقائي في مقهى ((النورس)).. وبأشياء أخرى كثيرة يصعب على مفارقتها.

وتجئ أيام صعبة.. شديدة الصعوبة من ضائقة اقتصادية عامة في البلاد، فينقطع الجميع عن زيارة البيت.. وتبدأ ((بهية)) تشعر بوحشة قاتلة، لاسيما وأنها تركت الحديقة مهملة للغاية، وانشغلت بتدبير شؤون حياتها، بعد أن قلت مواردها، كما انشغلت نور بدارستها.

***

obeikandl.com

((عيون الظلام))

المساء –في حارة قديمة– من مدينة موحش وكئيب.. والسكان قد آووا إلى بيوتهم مبكرين كما هي عادتهم.. وأغلقوا أبوابهم المهترئة الضيقة.. ولم يعد في الحارة سوى أشباح الظلام وبعض القطط التي تنهش أكوام القمامة؛ لتعثر على ما تأكله.. وهي غير تلك القطط التي

obeikandi.com

يربيها السكان في البيوت لملاحقة الحشرات والفئران. وهذا لا يمنع تواصل المواء بين الطرفين.

يعود السيد ((بهاء)) إلى بيته الذي سكنه مجددًا وهو يسحب يد ابنه هشام. تمر قطة مسرعة أمام الولد فيصره خائفًا ثم يلتصق بوالده فيقول الأب:

ماذا جري يا هشام؟.. ليست أكثر من قطة شاردة!

يشعر هشام بالخجل إضافة إلى شعوره بالغربة فيقول:

ولكن.. لماذا جئنا لنسكن هنا.. أنا لا أحب هذا البيت.

يرد الأب وقد خفض رأسه:

إنه بيتنا يا هشام.. ولسنا نملك سواه الآن. أنت تعرف كيف بعنا بيتنا في شارع ((الزهور)) لنسدد الديون، ولم يبق لنا إلا العودة إلى هذا البيت. سنتحدث عن ذلك من جديد.. هيا أسرع خطواتك.. واعطني هذه الأكياس التي تحملها.

وسار هشام إلى جانب أبيه الذي، أطرق برأسه، وهو يتعجل السير وفكر في البيت الملاصق لهمم:

يا لحظ هذا البيت الكبير.. هل هو نفيس إلى هذا الحد حتى تسكنه تلك الأرملة ((بهية)) نع ابنتها بمفردهما؟

وبينا الأب يفكر في تاريخ المنزل.. بل في تاريخ المدينة كلها، ظهرت أمامه نور فجأة. وبعد أن تبادلا التحية قرر أن يوصلها مع ابنه إلى باب البيت. وفي الطريق كان يسألها عن أحوالها وأحوال أمها..

obeikandl.com

وفجأة ذعرت نور وصرخت. قال أبو هشام:

لماذا تصرخين أنت الأخرى يا نور؟ما الذي جري. هل هو جرذ صغير خرج من جحره؟

رددت نور بانفعال ومن بين الدموع:

لا.. لا.. رأيت عينًا تنظر إلى من الحديقة.

عين؟! –قال أبو هشام– لعلها يرقة أو عين قطة.

شهقت نور، وقالت:

ليست هذه أول مرة.. رأيت هذه العين عدة مرات.. وخاصة في المساء.

قال أبو هشام منزعجًا:

ولكن ما علاقتك بالحديقة.. إنها مهجوة.. وأنت تمرين منها فقط للوصول إلى باب بيتك؟!.. هيا أغمضي عينيك وناوليني يدك وأسرعي.

لحظات وانفجر الرعد، ولم البر، وبدأ المطر يهطل بغزارة.

قال أبو هشام وقد شعر بانفراج ما:

أرأيت؟.. إنه البراق.

قالت نور بصوت هامس وكأنها تحدث نفسها:

لا.. ليس البرق.. ليس البرق. عين زرقاء واسعة تنظر إلى.

obeikandi.com

تلك الليلة لم تستطع نور أن تنساها خاصة وأنها كانت ترى العين بوضوح تام للمرة الأولى، بينما هشام وأبوه لم يلحظا شيئا وإنما ظن أبو هشام أنها تتوهم أشياء لا وجود لها.

وعندما آوت إلى فراشها كانت تحس بأن تلك العين الزرقاء ما تزال تنظر إليها وكأنها تحدق بها. أغمضت نور عينيها بشد، ودست رأسها تحت غطاء السرير وكأنها من العين وهي تخفي خوفها تحت الغطاء في الوقت نفسه.

لم تستطيع نور أن تنام بسهولة كعادتها، بل شعرت فجأة وكأن العين الزرقاء التي لمحتها تريد أن تخبرها بشيء ما، ولكن خوفا مجهولاً كان يجمد أوصالها ويدفعها لأن تطرد تلك الأفكار من رأسها وتحاول النوم من جديد.

عندما أشرق الصباح صحت نور متثاقلة وما إن نهضت من سريرها، حتى هاجمتها أفكار الليلة السابقة بقوة، فهرعت مسرعة نحو النافذة المطلة على الحديقة؛ لتفتحها وتبحث بنظرة متفحصة عن المكان الذي رأت فيه تلك العين.

ويا للمفاجأة.. يا لروعة ما رأت..

ما هذا؟.. حجر صقيل مائل للبياض يبرز من بين أحجار الحديقة المهملة وكأنه ملك تلك الحجارة.. كيف لم تلحظه من قبل؟!.. إنه حجر غاية في الروعة والجمال. ولكن ما هذا الذي يشع في وسطه؟

obeikandl.com

أغمضت نور عينيها، ثم نظرت من جديد، لتتأكد أنها استيقظت فعلا من نومها، وأن ما تراه هو حقيقة وليس خيالاً.. أجل إنها ترى ماسة زرقاء جميلة.. لا عين زرقاء شريرة.

ارتجفت.. وفكرت هل تركض نحو أمها وتخبرها بما رأت، أو تدعوها لترى معها؟لا.. لتنتظر إلى الغد حتى تتأكد من صحة ما رأت.. لكن المفاجأة كانت أنها عادت إلى غرفتها مع غروب الشمس، ولما اقتربت من النافذة لمحت شعاعًا بدأ يسقط فوق الحجر.. يتجمع ويلمع ويتحول إلى ماسة زرقاء.

***

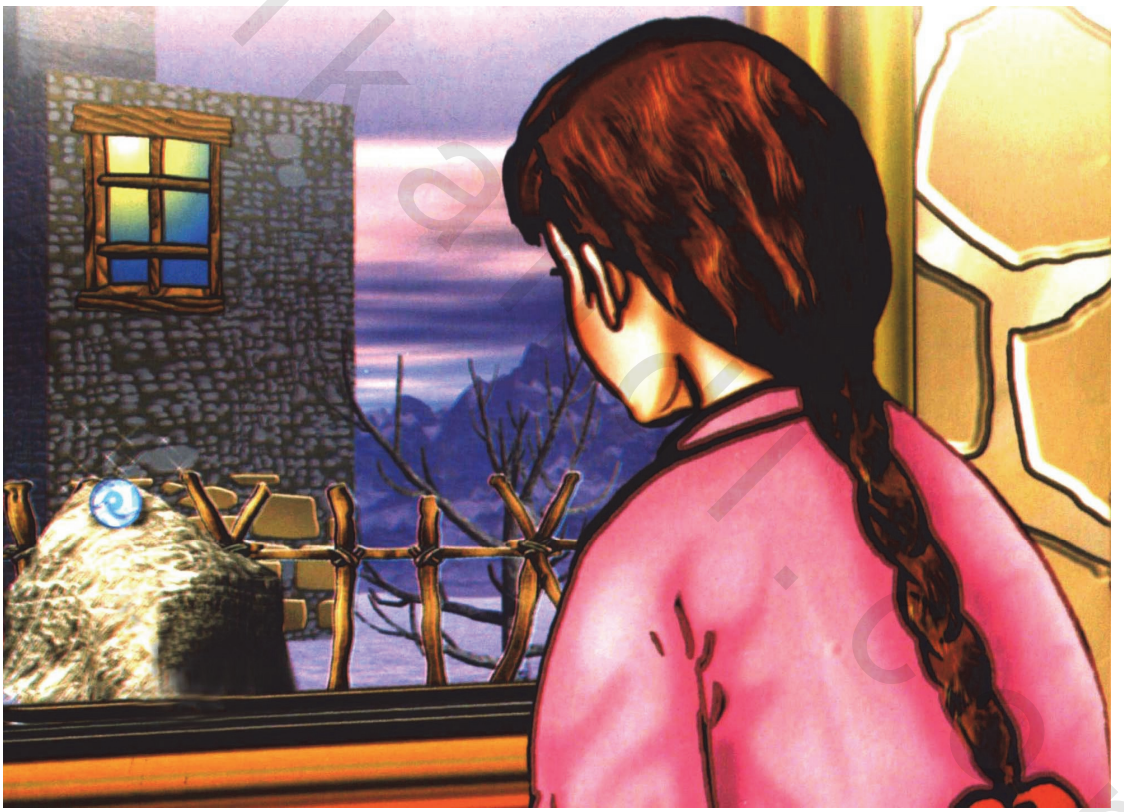

opeikandi.com

((حقيقة أم خيال))

وهكذا انعقدت الصلة الخفية بين نور وماستها البراقة.. فكانت كلما عادت إلى غرفتها مع غروب الشمس وقبل مجيء الليل، تقوم بين وقت وآخر لتفتح النافذة، وتنظر إلى الحديقة حيث الحجر الأبيض وفي وسطه الماسة الزرقاء.

غالبًا ما كانت ترى الماسة مضيئة مثل نجمة.. وأحيانًا كانت لا ترى وخاصة إذا كانت السماء تمتلئ بالغيوم أو تأخر الليل.

obeikandl.com

وعلى أية حال فقد كانت تنام والحلم الجميل يداعبها، وهو أن تحصل على الماسة فتضمها إلى سلسلة ثمينة.. أو تجعلها تتوسط حبات عقد تزين به عنقها، ثم تذهب إلى قريباتها أو رفيقاتها ويراها الجميع.

وتتخيل كيف أن كل واحدة منهن سوف تشهق وتسألها: ((من أين حصلت على هذا العقد يا نور؟))... وقد يسألنها أسئلة أخرى.. وعليها أن تهيئ الأجوبة. أول جواب هو أن هذه الماسة كانت ملكًا لجدتها الثرية الجميلة، وقد احتفظت بها الأم لكي تمنحها لنور عندما تبلغ العاشرة، وتكون قد نجحت في مدرستها بامتياز،

صحيح أنها تجاوزت العاشرة.. وصحيح أن العام الدارسي لم ينته بعد.. لكنها في السنوات الماضية كانت الأولى في صفها. وما الفرق بين أن تكون في العاشرة تمامًا أو تجاوزتها بقليل.

وتساءلت.. هل تتذكر قريباتها ورفيقاتها يوم ميلادها في الصف الماضي؟

إن يوم الاحتفال بعيد ميلادها، وكان في يوم صيفي شديد الحرارة، لم تحضر واحدة من الصديقات أو القريبات، فقد اقتصر الاحتفال عليها وأمها وخالتها فقط، لأن أمها كانت في ضائقة معيشية،

واعتذرت لها؛ لأنها لم تكن تملك مالاً كافيًا لذلك، وخاصة أن أخاها–أو الخال– الذي يأتي لهم كل شهر بمعاش والدها التقاعدي قد تأخر هذا الشهر لأنه مريض.

تعرف نور تمامًا أن أحوال أمها صعبة، وأن الأم تبذل جهودًا كبيرة لتظهر نور –دائمًا– بمظهرها المميز وسط من هن في عمرها، وأن ترتدي أجمل الثياب، وأن تكون مثل رفيقاتها في المدرسة الخاصة.

والتلميذات كلهن من الطبقة الغنية. وكثيرًا ما كانت تدعى إلى بيت إحداهن في مناسبة عيد ميلادها، أو أي مناسبة أخرى. فتدهش للثراء والفخامة في ذلك البيت.. وتظل تنظر إلى الثريات، وإلى الأضواء اللامعة باللون الأزرق فتتذكر فورًا الماسة الثمينة الملتصقة بذلك الحجر في الحديقة.

وتسأل نور نفسها هذا السؤال وهو: إنها هي وأمها لو باعتا تلك الماسة ألن تكونا قادرتين على شراء بيت مثل هذه البيوت التي تزينها الثريات والتحف والمفروشات اللامعة؟ وقد تشتري لها أمها أيضًا ((بيانو)) أسود اللون يستريح في إحدى الزوايا، وتضع في سطحه اللامع صورة لها وهي طفلة بين أمها وأبيها، وقد تضع تمثالاً لذلك الموسيقي العظيم الذي حدثتهن عنه معلمة الموسيقى هي ورفيقاتها.

وتهجم الدموع إلى عيني نور قبل أن تنام عندما تشعر أن كل ما تفكر فيه إنما هو من قبيل الأحلام التي قد لا تتحقق..

obeikandl.com

لكنها تطمئن نفسها أن الماسة حقيقية.. وأنها ثمينة.. ولا بد من أن تحقق لها أي حلم من هذه الأحلام فتغفو بهدوء.. ولا تشعر إلا والصباح قد أشرق فتنهض ملهوفة لتنظر إلى الماسة، وقد تراها إذا كانت الشمس في أول بزوغها.. وتختفي إذا ملأت الشمس الكون، وعلى أية حال فهي تقوم نشيطة، وتمضى نهارها بشكل اعتيادي حتى يحين موعد الغروب فتهبط إلى الحديقة، وتبدأ بمناجاة الماسة سواء رأتها أو كانت لا تراها.

((وردة الأمل))

الصباح ربيعي مشرق.. والشمس تنشر أشعتها الذهبية.. والهواء بارد لكنه رقيق. أفاقت نور مبكرة جدا وأطلت –ملهوفة– من النافذة، فرأت الماسة الزرقاء تلمع بألوان قوس قزح.. صاحت محدثة نفسها: لا بد أن تراها أمي.. لابد.. حتى تصدقني.

ارتدت ثيابها، ومشطت شعرها، وتعطرت ثم هبطت إلى الحديثة كانت الحشائش والأزهار الربيعية تحيط بالأحجار المرمية بإهمال.. وشجرة الورد الوحيدة تتفتح منها وردة وحيدة زاهية اللون. قالت في نفسها: ((هذه وردة الأمل.. لا بد أن أقطفها وأقدمها إلى أمي وادعوها لترى بنفسها الماسة الزرقاء)).

وبينما هي تضحك وتكلم نفسها، لمحت في نافذة البيت المقابل لبيتها إحدى البنات تنظر إليها، وإلى جانبها ذلك الولد الجرئ، الذي اسمه ((هشام)) وهو يناديها:

نور.. نور.. لا تقتربي من الحجر ابتعدي عنه فالأفعى تختبئ تحته.

لم تسمع نور ما كان يصرخ به ((هشام))، عندما التقطت الوردة ودخلت مسرعة إلى أمها في غرفة الجلوس وهي تلهث:

تعالى وانظري يا أمي.. الماسة الزرقاء يا أمي.. الماسة في وسط الحجر.

واستغربت الأم تمامًا ما تقوله نور.. لكنها تذكرت أنها حدثتها في يوم عن تلك الماسة، ولم تعتبر الأم ذلك إلا وصفًا لما تتخيله ابنتها. لكن نور هذه المرة كانت ترتجف.. وتسحبها من يدها بقوة.. وترجوها بحرارة أن تهبط إلى الحديقة.. أو على الأقل تنظر من النافذة.

وبالفعل فقد أخذت الأم الوردة بابتسامة غامضة، ثم اقتربت من النافذة، ونظرت إلى حيث أشارت نور، وإذا بماسة زرقاء تلمع في توهج، شهقت الأم، وقالت:

كأنها ماسة فعلا.. ولكن.. ما هذا الشعاع؟.. هل هو شعاع الشمس؟! سحبت نور أمها من يدها، وهبطت معها إلى الحديقة.. وكادت الأم تصرخ عندما تأكدت من وجود الماسة، وبينما هي تحاول أن تلمسها، فتح هشام باب الحديقة الخشبي المهتري، واندفع نحوهما بقوة وهو يصيح:

أفعى.. أفعى.. أنا رأيتها تختبئ تحت هذا الحجر:

ونظرت نور بتوجس تحت الحجر، لكنها لم تر شيئا، بينما أجفلت الأم وأمسكت بيد ابنتها بقوة، وقالت:

لنعد بسرعة يا نور.. لنعد إلى البيت، وعلينا أن نغلق الأبواب بإحكام.

أما نور فقد نظرت إلى هشام نظرة غضب، وقالت:

ما كان يجب عليك أن ترعبنا بهذه الطريقة.

رد هشام:

أنا رأيتها هنا أكثر من مرة.. وأنا أخاف عليك يا نور.

وانصرفت نور نحو المنزل، والدموع في عينيها، وهي بصوت منخفض:

((ما كان يجب أن تفسد على تلك اللحظة التي انتظرتها طويلاً حتى ترى أمي الماسة الزرقاء)).

ارتمت الأم فوق الأريكة، ووجها شاحب، بينما انفجرت نور بالبكاء، وهي تقول:

لا توجد أفعى يا أمي.. لا توجد.. لم أر شيئا كهذا.. فمن أين تأتي الأفعى؟!

وقالت كلامًا كثيرًا، لكن الأم لم تسمعه؛ لأنها كانت منشغلة البال بأمر تلك الماسة.. فقد رأتها فعلاً.. ولم تكن ابنتها حالمة أو واهمة.. انحنت نور إلى الأرض لتلتقط الوردة.. وردة الأمل التي داستها دون أن تنتبه.

obeikandl.com

وسألت أمها بصوت خافت وهي تمسح دموعها:

أنا رأيتها يا أمي كم هي جميلة؟

واكتفت الأم بأن تهز رأسها موافقة.. ولم تستطع أن تنفي وجود الماسة، أو تعترف بها أيضًا.. فقد تكون واهمة هي أيضًا مثل ابنتها!!

لكن الأم صممت على أن تتابع النظر إلى الحجر بين حين وآخر.. وخاصة عند الشروق أو الغروب كما تقول نور، إلا أن هاجسًا منعها من أن تفعل ذلك. فماذا لو كانت تحت الحجر أفعى ملعونة كما قال هشام.

***

obeikandl.com

((أحلام مبعثرة))

اضطربت حياة نور وأمها بعد ذلك الحادث، فقد منعت الأم ابنتها من أن تنام وحدها في غرفتها المطلة على الحديقة، خوفًا من أن تتسرب إليها الأفعى، إذا نسيت زجاج النافذة مفتوحًا عند المساء، أو تركته مفتوحًا عند الصباح.. إنها تطل كل يوم على الحديقة صباح مساء؟

ونور أيضًا أمورها، ومواعيد دراستها، أو رجوعها إلى البيت، فهي تنتظر هشام عند أول الحارة لتعرف منه هل رأى الأفعى فعلاً، أو هو يخفيها هي وأمها فقط؟!

لكن هشام، لم يظهر لها أبدًا لها وكأنه يتحاشاها. وفكرت في أن تذهب إليه في بيته عند هبوط المساء وتسأله.. لكنها لا تستطيع؛ لأنها ستضيع الفرصة في النظر إلى الماسة الزرقاء.

ولم تعد نور تتناول طعامها بشكل جيد، أو تذكر دروسها بسرعة، وترفض أن تشارك أية واحدة من رفيقاتها في المذاكرة، وبما أن الخال تأخر في المجيء إلى أخته وابنتها، فقد فكرت الأم في أن تذهب إليه في تلك البلدة البعيدة.. ولم توافق نور على أن تذهب معها؛ خوفًا أن يتسلل هشام أو غيره إلى الحديقة، ويسرق الماسة.. وربما كانت سرقة الماسة أسهل.. وحدثت أمها عن مخاوفها فتراجعت الأم عن مشروعها في السفر.. ولما سألتها هل حدثت أحدًا عن الماسة؟

obeikandl.com

أجابت نور:

أبدًا لم أحدث أحدًا سوى العم خليل.

وكان العم خليل صاحب الدكان المجاور لهم، قد رآها ذات مرة في المساء، وهي تلامس الحجر فسألها:

لماذا تفعلين هذا يا ابنتي؟.. قد تكون فيه حشرات مؤذية، أو نمل أحمر يقرص كفيك الصغيرين.

فأجابته:

لا.. ليس فيه شيء سوى هذه الماسة الزرقاء.

ضحك وقال:

ماسة في حجر!!.. يا سبحان الله.. إنه حجر قديم لا يساوى شيئا. ولكن من يدرى، قد يحتاجه أحد للبناء فيدفع فيه ثمنًا.

وسألت أمها:

ألا تذكرين يا أمي يوم قال لك العم خليل وهو يوصل إليك أشياء للمطبخ: لماذا لا تبيعين هذا البيت يا أم نور وتسكنين في بيت حديث؟!

ردت الأم:

نعم.. تذكرت.

سألت نور:

وبماذا أجبته حينذاك؟

obeikandl.com

قالت الأم:

أتذكر أنني قلت له: لا.. لن أبيع هذا البيت، حتى تتخرج نور في المدرسة الثانوية.

وسألت نور نفسها: "وهل سأظل مع الماسة هكذا وأنا أحلم طوال هذه السنين؟".

وفي ليلة هبت فيها عاصفة تحمل رعدا وبرقا، لجأت نور إلى صدر أمها، وهي تشعر بخوف شديد.. لامست الأم شعرها الناعم.. ومسحت فوق وجنتيها المبللتين بالدموع، وسألتها:

لماذا تبكين يا حبيبتي؟ أنت في حضن أمك.. ولا شيء يخيف.

قالت نور:

أخاف أن يحطم الرعد الحجر، وتضيع الماسة.

وضحكت الأم وقالت:

أنت متعلمة يا نور.. إن الحجر ثابت في مكانه، والرعد والبرق لا يستطيعان تحريك الحجر.

وتحاول نور أن تنام، لكنها لا تستطيع.. والأم أيضًا ظلت في أرق تتقلب في الفراش الذي ضمها مع ابنتها.. وبين ساعة وأخرى تلامس رأسها وكتفيها.. هل كانت الأم تحلم مثل ابنتها بأن تبيع الماسة الزرقاء وتغير حياتها إلى الأفضل. ربما كان ذلك.. لكن أحلامها ليست كأحلام ابنتها فهي بين أن تركض ورائها.. أو تطردها عنها بينما أحلام نور ثابتة أكيدة.

وفي تلك الليلة –أيضًا– رأت الأم من وراء زجاج النافذة بريقًا أزرق مائل إلى الخضرة، يلمع عند الحاقة. خافت خوفًا شديدًا وظننت أنها الأفعى تنظر إليها وتحاول الدخول. أجفلت وما لبثت أن نهضت من السرير بسرعة؛ لتتأكد من أن النافذة مغلقة بإحكام وكذلك الباب. وعندما اقتربت من النافذة رأت تلك القطة البيضاء، قطة الجيران تنظر إليها بعينيها الزيتونيتين، وترتجف من المطر. فتحت لها النافذة لتدخل فصرخت نور:

أنهم يسرقون الماسة يا أمي.. يسرقون الحجر.

obeikandi.com

هـدأت الأم خواطرهـا، وتناولـت منشـفة جففـت بهـا القطـة البيضـاء التـي مـا لبثـت أن استكانت. ولما تعب الجميع من السهر، جاء النوم عزيزًا حتى انتهت العاصفة.. وبدأ الفجر بخيوطه البيضاء يزين الأفق. انسحبت الأم بهدوء من جانب ابنتها، وقامت لتتوضأ وتصلى وتدعو الله أن يلهمها ما ذا يمكن أن تفعل في هذه الحالة التي وصلت إليها مع ابنتها؟!

((أيام صعبة))

في اليوم الأخير للسنة الدراسية، كانت نور تشعر أنها فراشة تطير في الهواء بعد أن شهادة نجاحها مع ملاحظات التشجيع والمديح لاجتهادها إضافة إلى جائزة كبيرة.

وتسرع إلى البيت؛ حتى ترى أمها نتيجتها، وفي الطريق صادفت هشام فأدارت بوجهها عنه وهو يناديها:

نور.. نور.. أريد أن أكلمك.

ولماذا تكلمه؟ أليس هو الذي قال لأمها إن تحت الحجر الذي يسطع بالماسة الزرقاء تختفي أفعى قاتلة؟.. ومنذ ذلك اليوم لم تعد أمها ترى الماسة في وسط الحجر.. ولم تعد تسمح بالنزول إلى الحديقة.. وأصبحت تكتفي بالنظر إلى الحجر والماسة من خلال النافذة فقط.. وكثيرًا ما كانت تفتح عينيها فلا ترى الماسة.. وكأن الأفعى هي التي ابتلعتها.

ركضت نور نحو البيت، وهشام يناديها بينما انطفأت فرحتها، وأوشكت الدموع أن تهجم إلى عينيها عندما تذكرت الماسة، ترى هل تستطيع الآن وقد نجحت أن تطلب من أمها السماح لها بالنزل إلى الحديثة؟ وماذا ستفعل في هذه العطلة الصيفية إن لم يكن لهوها ولعبها في الحديقة مع رفيقاتها أو وحدها؟

عندما وصلت إلى البيت فوجئت بعدة أشخاص من بينهم فتاة جميلة تحمل ملفًا وأوراقًا وهم يخرجون من بيتها وأمها تودعهم. قالت الفتاة:

طبعا... أنت نور. لقد حدثتنا أمك عنك.. ونحن نريد أن نتحدث معك أيضًا.

واستغربت نور طلب الفتاة.. ماذا تريد منها؟ ومن هي أصلا؟.. ومن هم هؤلاء الأشخاص؟.. وماذا كانوا يفعلون في بيتهم؟ وتخيلت أنهم ربما يريدون شراء البيت.. فقد حدثتها أمها ذات مرة عن مشروع لها في أن تبيع البيت والحديقة.. ورفضت

نور بشدة.. وكان ذلك قبل أن تعثر على الماسة.. فكيف وقد أصبحت الماسة الزرقاء شيئا حقيقيا ورأت أمها الماسة بعينيها أيضًا؟!

قالت الفتاة:

هل توافقين على أن نأخذ هذه الحجارة من الحديقة؟.. تقول أمك إن الحديقة لك.. وأنت تتسلين بالعناية بها.

ردت نور بحدة:

لا.. لن أتنازل عن الحديقة أبدًا.. ولا عن الحجارة.. ثم إنك لم تقولي لي من أنت؟

انحنت الفتاة برفق، وقالت:

نحن من مديرية الآثار.. ونحتاج إلى حجارة قديمة لترميم أثر عظيم من الآثار.. ما رأيك؟ سندفع لك ثمن هذه الحجارة.

قالت نور:

لا.. لن أبيعها بأي ثمن.. إن ثمنها...

ورددت في سرها: ((ثمنها أغلى من الماس)).

وانصرف الأشخاص والفتاة متعجبة من جرأة هذه البنت الصغيرة وردها الحاد.

وتزداد الأيام صعوبة بانقطاع نور عن النزول إلى الحديقة، ثم قرر أمها في ذهابهما لزيارة المريض في تلك البلدة البعيدة.

وظنت نور أن أمها تحتاج إلى النقود للمصروف اليومي، فتقدمت منها وبين أصابعها تهتز سلسلتها الذهبية، فقد طالما حلمت أن تزينها الماسة الزرقاء، وطلبت من أمها أن تبيعها وتستفيد من ثمنها، لكن الأم ضحكت وقالت إنها لا تحتاج إلى المال.. بل هي قلقة على أخيها، ولا بد من زيارته. وامتلأت عينا نور بالدموع، فكيف تفارق بيتها وماستها.. حلم حياتها؟

obeikandl.com

وفي بيت الخال لم تنس نور لحظة غرفتها ونافذتها المطلة على الحديقة.. والماسة التي تشع أمامها مثل النجمة.. وعندما رأت في منامها أن يدًا سوداء امتدت إلى الماسة واقتلعتها.. أفاقت مذعورة وهي تبكي.. هدأت أمها من روعها، ومسحت العرق عن جبينها..

ووعدتها بأنهما ستعودتان في اليوم التالي إلى البيت.

واستأذنت نور أمها أن تحدث خالها عن الماسة.. لكن الأم لم توافق.. وردت وهي تضحك:

ألا تنظرين حتى نقتلعها من مكانها؟

أما الأمر الذي أثار نور، فهي أنها بعد عادت إلى البيت ونظرت إلى الحديقة، وجدت الحجر مقلوبًا وقد تزحزح من مكانه، وظهرت تحته حفرة صغيرة بتراب ناعم وكأنه مبلل.

أسرعت إلى الأم وقالت:

لقد سرقوا ماستي يا أمي.. سرقوها.

هدأتها الأم، وقالت:

أنت لم تنتبهي جيدًا لوضعية الحجر.. لقد قلبه أحدهم.. أقصد أحد مسؤولي الآثار، ليتأكد من صلاحيه لهم.. ليس في الأمر أكثر من ذلك.

قالت نور:

ومن سيعيده إلى وضعه السابق لأتأكد أن الماسة لا تزال فيه؟ أنا لا أقدر يا أمي.. ولا أريد أن يساعدني هشام.

قالت الأم:

سنرى ماذا سنفعل.. سنرى.

***

obeikandl.com

((حزن وفرح))

لم تعد نور تراقب بزوغ الشمس ولا غروبها.. فحجر الماسة مقلوب.. والماسة دفنت في التراب حيث الأفعى كما يقول هشام.. وأمها المسكينة تقتصد جدا في مصروفهما اليومي.. إذن فالخال لم يعط أمها المبلغ الإضافي الذي كان يمنحه لها –دائمًا– لتساعد نفسها على شقاء الحياة وتربية ابنتها.

لم تعد نور تعرف النوم الهانئ المفروض بورود الأحلام.. ولم تعد ترى الماسة الزرقاء تلمع مثل النجمة. ولما جاء أشخاص آخرون من

الآثار يريدون شراء البيت كله، وليس الحجارة فقط، وقعت نور في مأزق شديد.. هل توافق أمها على البيع؟.. نعم.. يجب أن توافق.. ولكن ليس قبل أن يعيدوا الحجر إلى مكانه، ويتأكد الجميع من وجود الماسة. وماذا لو اشتروا البيت والحديثة والحجارة كلها وتركوا لها هذا الحجر؟

هذا ما صارحت به أمها في ذلك اليوم، الذي رأت فيه الشمس تبرق كما لم ترها من قبل، فقد استيقظت متأخرة.. وظنت أنها شمس جديدة، وليست تلك الشمس التي تشهد بزوغها تدريجيًا عند خيوط الفجر الأولى.

وبجرأة شديدة، استقبلت لجنة الشراء، وعرضت عليهم شروطها.

ضحك المسؤول عن الآثار وسألها:

لماذا هذا الحجر بالذات؟

وارتبكت ولم تعرف بماذا تجيب، فقال لها:

لكن هذه الحجر هو الأهم؛ لأنه النموذج الذي سنقطع على مقاسه، وحسب لونه الأحجار التي سنرمم بها الهرم.. ألا تحبين الأهرامات وتفخرين بها؟

شعرت نور أن قواها تتلاشى.. وأنها يجب أن تفرط بالحجر، فقالت بنبرة يائسة:

طبعًا.. طبعًا.. أنما كما قلت تمامًا... ولكن ألا يمكن أن تقبلوا من أجلى الحجر وتتركوني ألمسه أولاً، ثم أنظر إليه عند الغروب وعند الشروق في اليوم التالي؟

استغرب الرجل المسؤول هذا الطلب، وقال:

سنقلب من أجلك الحجر.. وأثناء عملية الشراء، تستطيعين أن تفعلي بالحجر ما تشائين. ثم انصرفوا..

ولاحظت نور تلك السعادة، وذلك الفرح في عيني أمها، وهي تشرح لها كيف ستشري بيتًا جديدًا حديثًا.. وكيف ستملؤه بالمفروشات الأنيقة.. وبالأضواء الملونة.. وكيف ستزين حديقته بالورد والفل والياسمين.. ثم ضمتها إلى صدرها وقالت:

قبل كل شيء سأشتري لك ماسة زرقاء، تضعينها في سلسلتك الذهبية، ام تفضلين الفيروز أو العقيق أو الزمرد؟

قالت نور وقلبها يخفق بشدة، وهي تتخيل شمسًا جديدة تشرق على بيتها الجديد.. كما أن هذه السعادة هي التي تشرق على وجه أمها:

لك ما تفعليه يا أمي.

وما استطاعت نور خلال الأيام التي فصلت بين وجودها في البيت، وبين عملية البيع، أن تستيقظ مبكرة جدا لتنظر من النافذة إلى الماسة الزرقاء في وسط الحجر. وتجرأت في اليوم الأخير وهبطت إلى الحديقة، وتحسست الحجر، وثبتت أصابعها في وسطه.. وجدت خطوطًا من طبيعة الحجر، تتجمع في دائرة صغيرة وليس هناك ماسة.

opelikanor.com

حزنت نور لأنها لم تجد ماستها، وتساءلت: ((هل سرقها أحد)).. ولكن الدائرة ليست حفرة صغيرة، ولا يبدو أن أحدًا اقتلع من وسط الحجرة قطعة ما. تساقطت دموعها وتنهدت بعمق، وقالت في نفسها: ((الحجر حجر.. ولا يمكن أن يكون ماسًا.. ومع ذلك سأسأل أمي)).

obeikandl.com

((نور كالماس.. فوق حجر أساس))

قبل أن تخرج نور وأمها من البيت.. وقبل أن يسلموا مفتاحه، همست نور لأمها بكلام ابتسمت له الأم. ولما ابتعدت نور لتودع الحديقة، همست الأم بدورها بكلام لرئيس البعثة الأثرية، فابتسم أيضًا وهز رأسه.

وظل السر في كلامها حتى كشفته الأيام.. إذ إنه بعد عام فقط –وليس بعد أعوام– تم الترميم للهرم بأحجار قديمة، ومها الأحجار التي نقولها من حديقة بيت نور. وأقيم حفلة الافتتاح، واجتمع أناس كثيرون من الأهالي والأجانب والسياح يستمعون إلى

الموسيقى والأناشيد الوطنية الحماسية، وكان كلما مر فوج من هؤلاء الناس أمام الجانب الذي رمم من الهرم، كان بعضهم يصفقون، ويصفقون، وبعضهم يشهقون، وغيرهم يتساءلون فيما بينهم: ((لماذا يبدو هذا الحجر بالذات متألقًا ولا معًا ومائلاً إلى الزرقة كأنه الماس؟!! وما هذه الحروف التي نقشت في زاويته؟)).

من يعرف اللغة العربية، قرأ حروفًا ثلاثة: ((ن و ر)) وأرقامًا تدل على تاريخ استلام الحجر من صاحبته.. ومن لا يعرف العربية ((شرح له أحد ممن حوله أن هذه إشارة إلى العثور على هذا الجانب المناسب عند بنت صغيرة اسمها ((نور)).. وذلك في التاريخ الذي أشير فيه لاستلامه، ونقله إلى هذا المكان وإلى الهرم.

أما أن نور كانت موجودة في الاحتفال، فهذا ما جعل المسؤول الأول في الآثار.. يلفت نظر جمهور الحاضرين إليها، ولم يلبث أن دعاها إلى المنصة، لتروى قصتها مع الحجر، وتكشف عن سر الماسة الزرقاء.. الماسة التي كانت في مخيلتها.. ولعلها رأتها من خلاص شمس بلادها ملتصقة بهذا الحجر.. ولم تتخل عنه، إلا عندما تأكدت أنهم سيضعونه في مكانه المناسب في الهرم.

وطلب من نور أن نتحدث إلى الناس.. لكن نور التي كانت مضطربة كثيرًا، لم تستطع أن تتحدث إلا بعبارات قصيرة، روت فيها قصتها مع الحجر والماسة الزرقاء، وكيف ظنت أنها يمكن أن

obeikandl.com

تحصل عليها أو على ثمنها.. إلا أن القيمة الحقيقة كانت للحجر ذاته وليس لدوائر ماسية فوق سطحه.. بل لقاعدة ماسية تزين الهرم الضخم العظيم.

وامتلأت عينا نور بالدموع عندما قدم لها المسؤول الأول في الآثار سلسلة فضية في وسطها حجر أزرق.. ربما لم يكن ماسة.. لكن هذا ليس مهما.. فهو حجر أصبح يمثل إليها رمزًا أغلى من الماس.

أخذت نور الهدية شاكرة.. وبينما هي تعود إلى مكانها في الصف الأول من الاحتفال تقدم منها ولد أنيق لم تتوقع رؤيته أبدًا.. كان هو هشام، وقال لها مهنئًا:

لو كانت أعرف أن هذا الحجر كان غاليًا عندك إلى هذا الحد لما فعلت ما فعلت..

ولم تسأله نور: ((ماذا فعلت؟))؛ ذلك لأن الفرحة كانت تملأ كل كيانها، لكن هشام قال:

أنا تصورت أن ما رأيته كان أفعى.. لكنني اكتشفت أنها كانت القطة بعينيها الزيتونيتين وذيلها الرمادي الأغبر. سامحيني يا نور.

وبالطبع فقد سامحته نور.. وصافحته.. وقالت له:

خذ عنواني الجديد يا هشام وتعال لزيارتنا.

obeikandl.com

الفهرس

بيت الماضي ٤

عيون الظلام ٨

حقيقة أم خيال ١٣

وردة الأمل ١٧

أحلام مبعثرة ٢٢

أيام صعبة ٢٧

حزن وفرح ٣٣

نور كالماس.. فوق حجر أساس ٣٧

obeikandi.com